الدكتور الشاهد البوشيخي

نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية

دراسات مصطلحية : 3

- نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية.
- تأليف: الدكتور الشاهد البوشيخي.
- رقم الإيداع القانوني: 2002/1927.

- طبع وتصميم: مطبعة آنفو - برانت، 12، شارع القادسية، الليدو - فاس.

☎: 055 64.17.26



بسم الله الرحمن الرحيم

وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقاً

وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ

وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمِ

(سورة الأنعام : 116)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

مقدمة

الحديث في "**المسألة المصطلحية**" حديث ذو شجون، وما في الصدر منه أكثر مما في السطر :

وَ لَوْ أَنَّ قَيساً أَنطَقَتنِي رِمَاحُهَا
نَطَقتُ ولكنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ

فيا حسرة على قيس" و "رماح" قيس !!

ويا ليت قومي يعلمون بأن "**المسألة المصطلحية**" هي قلب الإشكال، ومفتاح الإقلاع، ومحرك التجديد؛ ذلك بأنها تتعلق ماضيا بفهم الذات، وحاضراً بخطابِ الذات، ومستقبلا ببناء الذات.

ويا ليت قومي يعلمون بأن "المسألة المصطلحية" هي محور الصراع، وجوهر النزاع، ومركز الدفاع؛ ذلك بأن عليها المدار منذ استخلاف آدم عليه السلام حتى قيام الساعة، وفيها النزاع بين المستكبرين

والمستضعفين في مختلف الأمصار والأعصار، وبها الدفاع عن الهُويَّة الدينية، والخصوصية الثقافية، والوِجْهة الحضارية.

ألا ليت قومي يعلمون بأن المصطلح الذي أنزل إليهم من ربهم هو المصطلح، ولو أنهم أقاموا المصطلح الذي أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

ألا ما أحوج الأرض اليوم إلى من يقيم فيها مصطلح الذكر كما أنزل ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر 9)، لتسْتدير من جديد كهيأتها يوم خلق الله والأرض، ويقام الميزان والوزن بالقسط.

ألا إنَّ شأن مصطلح الذكر لعظيم، وتغييره أو تبديله مما يحسبه الناس هينا وهو عند الله عظيم، ومسه بسوء مس بالنظام العام للكون والحياة والإنسان جِدٌّ أثيم.

ذلكم ما تومئ إليه الكلمة الأولى : "نظرات في المسألة المصطلحية". وكانت خاتمة الكلمات في "مؤتمر قضايا المصطلح" الذي أقامته كلية الآداب بجامعة تشرين باللاذقية أيام 28–1998/4/30م.

وذلكم ما تنطلق منه الكلمة الثانية "نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية" التي أصلها محاضرة ألقيت بـ "مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية" بالرياض عشية يوم الإثنين 30 شوال 1422هـ.

وكلتاها "رؤوس أقلام لفتح أبواب الكلام".

وعسى الله عز وجل أن ييسر في غد ما يُبْسَط به هذا الإجمال.

وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فاس في 14 ذو القعدة 1423هـ

الشاهد بن محمد البوشيخي

غفر الله تعالى له

الفصل الأول

نظرات
في المسألة المصطلحية

افتتاح:

موضـــوع هـــذه الكلمة كما هو مسطر في برنامج المؤتمر: **نظـرات في الـمسألة الـمصطلحية.**

وأول ما أفتتح به القول، بعد "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، تحية من عـــند الله مـــباركة طيبة، هو الشكر أجزل الشكر، لأهلنا في شمال المشرق، من أهلكم في شمال المغرب، على هذا الاستدعاء الكريم لهذا المؤتمر العظيم، الذي لو لم يكن فيه إلا الرغبة الصادقة في الالتقاء من جميع الأبناء على النداء: "أن تعالوا يا أهـــل المصـــطلح إلى كلمة سواء"، لكفى وشفى. وما أشبه **"نداء اللاذقية"** اليوم **"بنداء اليرموك"** أمس!:

"فتعالوا يا أهل العلم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم:

- ألا نسـتعمل إلا مصـطلحا واحـداً لـلمفهوم الواحـد في الـمجال العلمي الواحد.

- وألا نقـترض مـن خارج الذات، إلا بعد الفراغ من إحصاء ممتلكات الذات.

- وألا يعمـل بعضـنا بـمعـزل عن بعض، ونحن جميعا قطع في مـحرك واحد هو مـحرك الذات..."[1].

وثاني ما أفتتح به القول، أن هذه النظرات، إن هي إلا رؤوس أقلام لفتح أبـــواب الكلام، في هَمٍّ عظيم مقيم، يقض مضجع كل حليم: همّ المصطلح الذي يتعلق ماضيا بفهم الذات، وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلاً ببناء الذات.

---

[1] – مـــن كلمة للمؤلف باسم الوفود في مؤتمر النقد الأدبي الخامس بالأردن (1994/6/14. انظر: نشرة أخبار المصطلح العدد الأول).

فما هو مفهوم المسألة المصطلحية إذن في هذه النظرات؟

وما علاقتها بماضي الذات وحاضرها ومستقبلها؟

وهل لها في هذا الظرف من مستعجلات؟

ذلكم ما ستدور عليه تلكم النظرات.

أ- مفهوم المسألة المصطلحية

المسألة المصطلحية في هذه النظرات، ليست هي تعريف اللفظ المصطلح، ولا وضع المصطلح المقابل لمصطلح، ولا اقتراح مصطلح جديد لمفهوم جديد ازدان به فرش عالم المصطلح. وكل ذلك من البحث في المصطلح.

والمسألة المصطلحية في هذه النظرات، ليست هي أيضا تعريف علم المصطلح، ولا البحث في قضايا علم المصطلح، ولا دراسة مصطلحات علم المصطلح. وكل ذلك أيضا من صميم البحث في المصطلح.

إنما المسألة المصطلحية في هذه النظرات، هي تلكم المسألة التي تستلزم كل ذلك، وتوظف كل ذلك وغير ذلك، مماله صلة بذلك، في تعريف الذات الحضارية المستعملة للمصطلح: ماذا كانت؟ وماذا هي الآن؟ وماذا ينبغي أن تكون؟ **إنها المسألة المصطلحية الحضارية بالمفهوم الشامل، لا بالمفهوم العلمي الخاص أو الأخص. إنها المسألة التي تبحث مصطلح الماضي، بهدف الفهم الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح. وتدرس مصطلح الحاضر بهدف الاستيعاب العميق، فالتواصل الدقيق، فالتوحد على أقوم طريق. وتستشرف آفاق مصطلح المستقبل، بهدف الإبداع العلمي الرصين، والاستقلال المفهومي المكين، والتفوق الحضاري المبين.**

ب- علاقة المسألة المصطلحية بماضي الذات

إنها علاقة **الفهم فالتقويم فالتوظيف**. وضرورة ذلك بينة لذي عينين؛ لأسباب أهمها:

1- أن تراثنا هو ذاتنا؛ إذ المستقبل غيب، والحاضر علميا لا وجود له، فلم يبق إلا الماضي الذي هو مستودع الذات وخزان الممتلكات، بما لها وما عليها من ملحوظات وملاحظات. فكيف نعرف إذن الذات إذا لم نفقه التراث؟

2- أن مفتاح التراث هو المصطلحات. وإنما توتى البيوت من أبوابها، وأبواب كل علم مصطلحاته، بل إنها خلاصة البحث فيه في كل عصر ومصر؛ ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم، وفي تطورها يتلخص تطور العلم.

3- أن مفتاح المفتاح هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات؛ ذلك بأنها **تعرِّف** غير المعرَّف، وهو الأغلب، **وتدقق** تعريف ما عُرِّف فلم يُعَرَّف، وهو الأقل، **وتصحح** أخطاء أصحاب النظارات الملوَّنة، أو الذين يدرسون التراث بالطائرة، أو الذين لا يقوم منهجهم على الإحصاء، فتند عنهم أشياء وأشياء، فضلا عن أنها **تصف** المصطلح نعوتا وعيوبا بما يَشِفّ، وتدرسه ضمن ما يأتلف معه ويختلف، إلى غير ذلك مما يضيء شخصية المصطلح، ويكون **بطاقة هوية** مفصلة له.

لكن تلك الضرورة لا تلبَّى بأسرع ما يمكن، ولا بأضبط ما يمكن، إلا إذا قام منهج الدراسة المصطلحية على ثلاث دعائم:

أولا العلمية؛ وأساسها **الإحصاء**، **فالدراسة المعجمية**، **فالنصية**، **فالمفهومية**، على نمط خاص يكفل الوصول إلى نتائج يمكن علميا أن يطمأن إليها، ولا تكون من قبيل رأي ربيعة بن حذار في شعر الزبرقان بن بدر أنه: "كلحم أسخِن، لا هو أنْضج فأكِل، ولا هو ترك نَيِّئاً فيُنتَفَعَ به".

ثانيا المنهجية؛ وأساسها تقديم **الدراسة الوصفية** بشروطها على **الدراسة التاريخية** بشروطها حين يحين أوانها.

ثالثا التكاملية؛ وأساسها **التنسيق**؛ حتى لا يركب الباحثون بعضهم بعضا، ولأجل ذلك أسس مثل **معهد الدراسات المصطلحية**، ومن أجل ذلك أصدر وِرَاقيَّتَه "**دليل الباحث الناشئ في المصطلح**"، ويصدر نشرته: "**أخبار المصطلح**" التي صدر منها ثلاثة أعداد: لو يجد على همه ظهيرا، فيقدر على إيصال الغذاء إلى كل الأنحاء.

ومع تعبد الطريق في الظاهر، هناك عوائق تكاد تمنع من السير، على رأسها، **عائق النص التراثي** الذي هو في تقدير عدد من أبرز المحققين، أغلبه غير محقق، ومحققه أغلبه غير موثق، وموثقه أغلبه غير مكشف، وتلك قاصمة الظهر بالنسبة إلى المصطلحي.

جـ- علاقة المسألة المصطلحية بحاضر الذات

وهي كما تقدم علاقة **الاستيعاب**، **فالتواصل**، **فالتوحد**. ودون ذلك -كما يقال- خرط القتاد؛ إذ الانصراف شبه تام، عن الاستيعاب لمصطلحات التراث، والانصراف شبه تام، إلى استقبال مصطلحات غير الذات. وقد قيل في

نظرات سابقة ما نصه: "الاهتمام بالمسألة المصطلحية اليوم، حيثما كان، في أمتنا، قد ولى وجهه، كلية أو كاد، شطر **المصطلح الوافد**، لا تشذ – أو لا تكاد تشذ – عن ذلك مؤسسة أو فرد، من مجامع إلى جامعات، ومن معاهد ومراكز إلى لجن ومنظمات، كلها تتسابق، بتنسيق أو بدون تنسيق، "متنافسة" في تلقي **المصطلح الوافد**؛

ومن رجالها من يستقبله استقبال الفاتح المنقذ، بقلبه وقالبه، معنى ومبنى.

ومن رجالها من يلبسه الزي العربي كيفما كان؛ لاعتبارات شتى دون أي مس لمفهومه.

ومن رجالها –وهم القلة النادرة- من يقفونه في حدود الأمة الحضارية للسؤال، والتثبت من الهوية، وحسن النية، ودرجة النفع، وقد يتعقبونه في مختلف المجالات والتخصصات التي قد يكون عشش فيها، وباض وفرخ بغير حق" (نظرات في المصطلح والمنهج ص **9**).

هذا فضلا عن أن العجز شبه تام، عن التواصل الدقيق بين أجزاء الذات، والعجز شبه تام، عن إنتاج الخطاب الموحد للذات، والعجز شبه تام أيضا لاستيعاب ما يجري في الذات أو خارج الذات.

• **ومن أهم أسباب ذلك**، مما ذكره الذاكرون أو غفل عن ذكره الغافلون:

1- انعدام الإدراك الشامل للمسألة المصطلحية، بأبعادها الحضارية أو شبه الانعدام.

2- تعدد مصادر الوضع المصطلحي.

3- انفصال مصادر الوضع عن جهات القرار.

4- انعدام الإلزام في قراراته مكتب تنسيق التعريب.

5- انعـــدام الالتزام في الإدارة والتعليم والإعلام بما يصدر عن مصادر الوضع والتنسيق.

ولا علاج بغير:

1- توحيد المتعدد (مجمع واحد يكون هو مجمع المجامع).

2- ووصل المنفصل.

3- وإيجاد المنعدم.

وأهم سلطة مرشحة لذلك هي سلطة جامعة الدول العربية (ممثلة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الأليكسو).

د – علاقة المسألة المصطلحية بمستقبل الذات

وهي كما تقدم أيضا استشراف آفاق مصطلح المستقبل، وتتلخص في ثلاث:

1 – ضرورة الإبداع المصطلحي لبناء ذات المستقبل أو مستقبل الذات، ولا إبداع مصطلحي بغير الإبداع العلمي، وإنما يسمي من ولد، ولا ولادة طبيعية بغير أبوين، اللغة الأم، والتراث الأب، ومن شذ شذ في الضياع، وإنما يأكل ذئب التاريخ من اجتهادات الأمم القاصية.

2– ضرورة الاستقلال المصطلحي، لحوار الذات لغير الذات، ولا استقلال للمصطلح بغير استقلال مفهومه، وإنما يحاور من له اعتبار، ولا اعتبار للنسخ، إلا بمقدار شدة مطابقتها للأصل.

ولذلك لابد من التأكد من النسب قبل تدوين المصطلح في سجل مصطلحات العرب.

3 – **ضرورة التفوق المصطلحي** كيفا وكما. لشهود الذات على غير الذات، ولا تفوق للمصطلح بغير تفوق أهله. وإن السماء لا تمطر تفوقا ولا إمامة حضارية، بل لابد من السبق في عالم الأسباب، وإتيان البيوت من الأبواب، وإلا رغمت أنوف العرُب في التراب حتى يراجعوا الحساب.

هـ – مستعجلات المسألة المصطلحية

وأحسب أن أهمها خمس:

1 – ضرورة التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية

2 – ضرورة حل معضلة النص التراثي في مختلف العلوم توثيقا وتحقيقا وتكشيفا.

3 – ضرورة التزام منهجية مستوعبة لما لدى الذات وغير الذات في الوضع.

وقد قيل عن هذا أيضا في النظرات السابقة ما نصه:

"إن **المصطلح الوافد** –السائد أو غير السائد – لا يواجه – ولا ينبغي أن يواجه– بمنهج "**العثور**". إنه لابد من خطة علمية شاملة حاسمة، لمواجهة ما أسماه بعضهم بـ "**الطوفان المفهومي**"، خطة تقوم:

أولا : على إحصاء ممتلكات الذات، ثم تقوم:

ثانيا :على استيعاب ما لدى الآخر من علم بعلم، في مختلف التخصصات

ثم تقوم:

ثالثا : على الاقتراض الحضاري بعلم، من خارج الذات، حسب حاجات الذات.

وذلك يعني فيما يعني صرف الجهد في:

مجال النص التراثي أولا: لأنه مجلى الذات وخزان الممتلكات.

ثـم مجـال لغة النص ثانيا: ولاسيما الاصطلاحية؛ لأنها المدخل الوحيد للـتمكن من الفهم السليم للمفاهيم، الذي عليه ينبني التقويم السليم فالاقتراض الحضاري السليم.

ثـم مجـال مـنهج دراسـة النص مقاما ومقالا ثالثا؛ لأنه الهادي إلى استنباط الهدى اللازم للحضور والشهود الحضاري، مما لا حاجة إلى اقتراض الأمة له من خارج الذات.

ثـم مجـال الوافـد مـن خـارج الذات رابعا واستيعابه عند أهله، بالتخصص فيه، بلغات أهله، ثم بتتبع آثاره فينا بالدرس العلمي لا بالخرص؛ لأن ذلـك الـذي يمنعنا من أن نظلم أن نظلم، ويؤهلنا للشهادة على الناس بعلم". (نظرات في المصطلح والمنهج ص : **11-12**).

4- ضرورة توحيد جهة البت في الوضع والإذن في الاستعمال قبل الاستعمال.

5- ضرورة تدخل سلطة الجامعة العربية للإلزام، وإلا صار كلامنا، وكلام سوانا ممن قبلنا ومن بعدنا، كلاما في كلام في كلام في كلام...

ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والسلام عليكم ورحمة الله

اللاذقية **1998/4/30**



الفصل الثاني

نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية

1- مقدمة في الواقع الحالي للاهتمامات المصطلحية

المصطلح عنوان المفهوم، والمفهوم أساس الرؤية، والرؤية نظّارة الإبصار التي تريك الأشياء كما هي؛ بأحجامها وأشكالها وألوانها الطبيعية، أو تريكها على غير ما هي: مصغَّرة أو مكبَّرة، محدَّبة أو مقعَّرة، مشوهة النّسَق والخِلقة، أو ملونة بألوان كالحمرة والزرقة. وما عهد قراءة الغرب بعينيه لتراثنا ببعيد. وما أثر نظارتيه الزرقاء والحمراء فينا بخفي.

ولقد كان مدار وحي الرحمن جل وعلا، مذ آدم حتى محمد عليهما الصلاة والسلام، على حفظ مصطلح الذكر من أن يصيب مفهومه تغيير أو تبديل؛ فتفسد الرؤية، ويقع الإفساد في الأرض ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: 9).

والتطابق بين الكتاب وأم الكتاب في الملأ الأعلى تام ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ (الزخرف: 4).

والتطابق بين الكتاب، ودين الله، وفطرة الله، وخلق الله، في الكون تام ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ (الروم: 30) ومن غيّر فقد أفسد ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ (الأعراف 56).

وإنما مدار عمل الشيطان وحزبه، مذ إبليس إلى قيام الساعة، على محاولة تغيير المفهوم وتبديل المصطلح، أي تغيير الدين، والفطرة، والخلق. ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ (النساء: 119)، وفي الحديث القدسي: «خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم..» (أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار).

وما الجهود التي بذلها المستكبرون في الأرض، المعبِّدون الناس للطاغوت، قديما وحديثا، إلا صور من تلك المحاولات لتغيير المفهوم وتبديل المصطلح.

وهذا فرعون ومومن آل فرعون في القديم، يتنازعان مفهوم **مصطلح «سبيل الرشاد»** ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ (غافر: 29)، ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد﴾ (غافر: 38).

وها هو اليوم **مصطلح شريف كالجهاد**، يغير مفهومه المتكبرون في الأرض، ويبدلون مصطلحه ليصير إرهابا، بعد أن غيروا مفهوم الإرهاب ليصير فعلا بعد أن كان حالا، ومكروها بعد أن كان مطلوبا.

وكذلك الأمر في أغلب المصطلحات التي تقوم عليها الحياة؛ كالخير والشر، والعدل والظلم، والحق والباطل، والسلام والإجرام،.. غيّر مفاهيمها العالون في الأرض أصحاب الأهواء، ولووا أعناقها كما لوى فرعون عنق مفهوم الفساد، وهو يقول عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد﴾ (غافر: 26).

وكأني بجميع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين في المنطق الإبليسي مفسدون، وكأني بهم في المصطلح الإبليسي المعاصر إرهابيون.

ألا ما أحوج الأسماء كلها التي علّمها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام إلى من يصونها ويحميها؛ بحراسة مفهومها، وصيانة استعمالها وتنزيلها.

وألا ما أحوج الأرض اليوم إلى من يقيم فيها مصطلح الذكر كما أنزل، لتستدير من جديد كهيأتها يوم خلق الله السماوات والأرض، ويقام الميزان والوزن بالقسط، فيقال للحق حق، وللباطل باطل.

ألا إن شأن المصطلح العام لعظيم، وتغييره أو تبديله مما يحسبه الناس هينا وهو عند الله عظيم، ومسه بسوء مس بالنظام العام للكون والحياة والإنسان.

ولذلك ينبغي النظر إلى واقع الاهتمام المصطلحي في الأمة اليوم من هذا الموقع، ولذلك قيل عن ذلك في نظرة سابقة في المصطلح والمنهج ما نصه:

"الاهتمام بالمسألة المصطلحية اليوم حيثما كان، في أمتنا، قد ولى وجهه كلية، أو كاد، شطر **المصطلح الوافد**، لا تشذ -أو لا تكاد تشذ- عن ذلك مؤسسة أو فرد، من مجامع إلى جامعات، ومن معاهد إلى لجن ومنظمات، كلها تتسابق، بتنسيق أو بدون تنسيق، متنافسة في تلقي **المصطلح الوافد**.

ومن رجالها من يستقبله استقبال الفاتح المنقذ؛ بقلبه وقالبه، معنى ومبنى.

ومن رجالها من يُلبسه الزّي العربي كيفما كان؛ لاعتبارات شتى، دون أي مس لمفهومه.

ومن رجالها -وهم القلة النادرة- من يقفونه في حدود الأمة الحضارية للسؤال، والتثبت من الهوية، وحسن النية، ودرجة النفع، وقد يتعقبونه في مختلف

المجـــالات والتخصصـــات التي قد يكون عشش فيها، أو باض وفرخ بغير حق". (نظرات في المصطلح والمنهج ص 9).

أما الاهتمام **بمصطلح الذات** الذي هو خزان الممتلكات، والذي يجب أن يكـــون عـــلى رأس الأولويات، فلا يكاد للأسف يحظى بأدنى التفات. وذلك وحـــده دليل على أن الأمة لمّا تقدر أمر المصطلح قدره، ولما تفقه طبيعة الإشكال المصطلحي، ولما تتصور المسألة المصطلحية التصور المطلوب.

2- مفهوم المسألة المصطلحية

الـــذي يتبادر إلى الذهن أولا، هو هذا الهم المصطحي الذي حُمّله مكتب تنســـيق التعريب في العالم العربي، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليكســـو)، التابعة لجامعة الدول العربية، وما يُنسق، أو يُفترض أن ينسق، بينه من مجامع لغوية، ومعاهد ومؤسسات، ولجن عليا أو دنيا للترجمة والتعريب.

والمفهوم الذي يستخلص من هذا الهم للمسألة المصطلحية ببساطة هو أنها: قضية الترجمة والتعريب للمصطحات الأجنبية اليوم في العالم العربي.

فالمصطلح الذي هو في البؤرة هو المصطلح الأجنبي، أي مصطلح غـــير الذات، الذي دخل حديثا، أو يريد الدخول إلى الذات، بسبب الاستعمار وما لحقه من موجات التحديث والعصرنة والتقدم والتنمية...

والإشكال الذي يعالَج هو إشكال التعريب للتعليم والإدارة وما يتصـــل بهما من علوم أجنبية، أو يلحق بهما من بقية مجالات الحياة العامة المتأثرة بالاستعمار، وما لحقه من موجات.

والتصـور الذي يقف خلف ذلك كله، هو أن الشرط الأساسي لنهضتنا عرباً، وتسريعها، هو استيعاب ما لدى الغير من جديد بالعربية.

وهذا المفهوم -على وجاهته- عليه مآخذ، أهمها:

1- أنـه يـترك مسـاحات شاسعة من المسألة المصطلحية خارج الاعتـبار، بل يترك الأهم والأولى بأن يكون هو الهمّ المقدَّم، وهو **مصـطلحات الـذات**؛ إذ عـلى أساسـها، وفي ضـوء مفاهيمها، والرؤية الحاصلة منها، يجب استيعاب ما لدى الغير، واستقبال **مصطلحات غير الذات**.

2- أن الإشـكال فيـه جـزئي، يقتصـر على ما تعانيه الأمة في جعل ما تغرَّب لفظا معرّبا، ويهمل ما هو أدهى من ذلك وأمر؛ وهو ما تعانيه الأمة من أمر **المصـطلح الأصل**، الذي به قامت، وعليه قامت، وله قامت. المصطلح الذي به كـانت الأمـة الوسط بين الناس، وبه كانت خير أمة أخرجت للناس، وبه كان رجالها شهداء على الناس: **مصـطلح القرآن والسنة البيان**، إذ هي لا تفهمه اليوم حق الفهم، ولا تقوم به أو عليه أو له، ولا تقيمه كما أمرت، صدقا وعدلا كما ينبغي له.

ومثل ذلك يقال عما تعانيه من أمر **المصطلح الفرع**، الذي يمثل خلاصة تفاعلها مع التاريخ وفي التاريخ. المصطلح الذي يمثل كسبها وإسهامها الحضاري في مختـلف المجـالات: **مصطلح العلوم والفنون والصناعات**؛ لا تعلمه هو كذلك حق العلم، ولا تقوِّمه حق التقويم، ولا توظفه حق التوظيف.

3- أن التصـور الـذي يقـف خـلق هـذا المفهـوم لا يمـثل حقيقـة أولويـات شـروط النهضـة؛ إذ قد يقع التعريب الكامل ولا تنتج عنه النهضة المطـلوبة. ومـا مثال بعض الدول العربية التي عربت حياتها كلها منذ عشرات السنين عنا ببعيد.

ذلكم ما يتبادر إلى الذهن أولا، وذلكم ما يستخلص منه، بما له وما عليه، وليس هو المفهوم المراد من المسألة المصطلحية.

فما المفهوم المراد؟

لقد قيل في نظرات سابقة أنه : (انظر ما سبق في ص : 4).ما نصه:

"**المسألة المصطلحية** في هذه النظرات، ليست هي تعريف اللفظ المصطلح، ولا وضع المصطلح المقابل لمصطلح، ولا اقتراح مصطلح جديد لمفهوم جديد ازدان به فرش عالم المصطلح. وكل ذلك من البحث في المصطلح.

و**المسألة المصطلحية** في هذه النظرات، ليست هي أيضا تعريف علم المصطلح، ولا البحث في قضايا علم المصطلح، ولا دراسة مصطلحات علم المصطلح. وكل ذلك أيضا من صميم البحث في المصطلح.

إنما **المسألة المصطلحية** في هذه النظرات، هي تلكم المسألة التي تستلزم كل ذلك، وتوظف كل ذلك وغير ذلك، مماله صلة بذلك، في تعريف الذات الحضارية المستعملة للمصطلح:

ماذا كانت؟

وماذا هي الآن؟

وماذا ينبغي أن تكون؟

إنها المسألة المصطلحية الحضارية بالمفهوم الشامل، لا بالمفهوم العلمي الخاص أو الأخص.

إنها المسألة التي تبحث مصطلح الماضي، بهدف الفهم الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح. وتدرس مصطلح الحاضر بهدف الاستيعاب العميق، فالتواصل الدقيق، فالتوحد على أقوم طريق. وتستشرف آفاق مصطلح

المســـتقبل، بهدف الإبداع العلمي الرصين، والاستقلال المفهومي المكين، والتفوق الحضاري المبين".

ومن هذا النص يستفاد:

1- **ســعة الــمفهوم**، حـــتى لا يخـــرج منه أي اهتمام من اهتمامات المصطلح، أو همّ من همومه؛ سواء تعلق بأصل الذات، أو بالنابت من الذات، أو بالوافد على الذات.

2- **كـلية الإشـكال** الـــذي يعالجه، وعمقه وخطورته؛ لأنه "يتعلق ماضيا بفهم الذات، وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات". (من كلمة افتتاح «ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم» مجلة كلية الآداب بفاس عدد خاص (4)، 1409هـ، ص: 12).

3- **شـــمولية التصـــور** الـــذي يقـــف خلفه وحضاريته؛ لمسه الأبعاد والجوانـــب كـــلها في الأمة، واستهدافه توظيفها جميعها، في نقل الأمة من الواقع المهين، إلى الموقع المكين بالأفق المبين.

3- مجالات المسألة المصطلحية

المجـال المـألوف في التصـور العـادي المعروف للمسألة المصطلحية، هـــو **مجال العـلوم الماديـة**، وأقصى امتداد له ينتهي عند نهاية **مجـال العـلوم الإنسانية**. لأنهما -بهذا الترتيب- مظنة الحضور الطبيعي للمصطلح الوافد الذي هو في البؤرة.

أمـــا في **التصور الحضاري الشامل للمسـألة الـمصطلحيـة** فإن المجالات تصير ثلاثة، وبهذا الترتيب المخالف للمألوف!: **مجـال الشرع وعلومه**، ثم **مجال الإنسان وعلومه**، ثم **مجال الـمادة وعلومها**.

فأما مجـال الشـرع وعـلومه، فهو رأس الأمر وعموده وذروة سنامه، ومصطلحه المصطلـــح الشريف، وأشرفه **مصــطلـــح القــرآن**، ثم **مصطلـــح السـنة الـبيان**، ثم **مصطلح العلوم الـمستنبطة منهما والخادمة لهما**. وعلى قدر حاجة الأمة إلى تجديد التدين، تكون حاجة المصطلح في هذا المجال إلى تجديـــد الفهـــم والتـــبيُّن. و"لـــئن كان في الأفق منهج يلوح وكأن به بعضا من خصـــائص عصا موسى عليه الصلاة والسلام في إبطال السحر وإحقاق الحق في الفهم، فهو **مـنهج الدراسـة الـمصطلحية**؛ ذلك بأنه يتصدى أساسا لضبط المفاهيم المكونة لأي نسق، والدين في جانبه المعنوي التصوري نسق من المفاهيم، أصـــلها في كـــتاب الله عز وجل، وبيانها في بيانه السنة. **مــن تـمكن من تلك الـمفاهيم، ومــن نسـقها العـام، تــمكن من الصورة الصحيحة لهذا الديـن، ومــن تشـوّه لديـه شـيء مـنها أو منه، تشوهت لديه الصورة العامـة لـهذا الديـن**". (افتتاحيـــة أخبار المصطلح ع: **4**، رمضان **1418هـ** ينايـــر **1998م**).

وأمـا مجـال الإنسـان وعـلومه، فحاجـــة المصـــطلح فيه إلى **الجمارك الحضـارية** شديدة، لغلبة **الـمصـطلح الوافد** على مساحات كبيرة منه؛ **ذلك** بـــأن الـــبحث في هـــذا المجال "قائم الآن برؤية الآخر ومنهاج الآخر؛ قائم على الانطـــلاق من مفهوم مادي للإنسان، ورسالة مادية للإنسان، وعلاقات ونشاط مـــادي للإنســـان، ومن ثم لا يمكن أن يُدرس إلا بمنهج مادي، ولا يُتصور له إلا تاريخ ومستقبل مادي...

إنه في النظر القديم حيوان ناطق، وما هو بحيوان، ولكنه إنسان. وإنه في النظر الحديث ابن قرد، وما هو بابن قرد، ولكنه ابن آدم عليه السلام.

وإن مفرق الطريق هو هذا المنطلق؛ فشتان بين من يدرس نفس الإنسان، ومجتمع الإنسان، وتاريخ الإنسان... على أنه حيوان من الحيوان (كان ابن قرد أو لم يكن ابن قرد) ومن يدرس نفس الإنسان، ومجتمع الإنسان، وتاريخ الإنسان... على أنه إنسان، هو ابن آدم النبي عليه الصلاة والسلام؛ **له خصوصية الخلق، وخصوصية الوظيفة، وخصوصية التكريم والتفضيل، وخصوصية العلم والعبادة، وخصوصية النفس والمجتمع والتاريخ والمصير...**

وإن الأمة المرشحة لإنصاف الإنسان، هي هذه الأمة التي أُنزل إليها الكتاب والميزان، وأمرت بإقامة الوزن بالقسط وعدم إخسار الميزان، وبهذه القوّامية بالقسط كانت وتكون لها الشهادة على الناس، وبها يجب أن يتم على يدها إنصاف البشرية، **بإعادة الآدمية المسلوبة للعلوم الإنسانية كلها؛** فيصير علم النفس، علم نفس الإنسان لا الحيوان، ويصير علم الاجتماع، علم اجتماع الإنسان لا الحيوان... وهكذا في مختلف المجالات والتخصصات. **وعندئذ تفرح البشرية بعودة آدميتها إليها،** وتخسأ القردة والخنازير وعبد الطاغوت". (مجلة الهدى، ع: 33، ص: 35).

وأما مجال المادة وعلومها فهو مجال السيادة للمصطلح الوافد؛ ويقصد به المجال الذي اتخذ المادة موضوعا له "كانت صلبة أو سائلة أو غازية، كعلوم الفيزياء والكمياء، وعلوم طبقات الأرض وأجواز الفضاء، وعلوم الهندسة والصيدلة... وغير ذلك". (مجلة الهدى ع: 33 ص: 35).

وهـــو هو المجال الذي انصرف إليه جل الاهتمام كما تقدم، لكنه ما زال بعيـــدا عن أن يتم في مصطلحه الحسم، لأسباب كثيرة تقدمت في علاقة المسألة المصطلحية بحاضر الذات.

ولا شـــك أن قدرا ما -وإن قلّ- من مصطلح هذا المجال سيكون متأثرا بالتوجه الحالي لعلوم المجال "وهي مسخرة الآن للإنسان الحيوان..، بميزانه يصرفها كيـــف يشاء، وبميزانه، حسب مفهومه للنفع والضر، ينفع بها من يشاء ويضر بها مـــن يشاء، ويبني بها ما يشاء ويهدم بها ما يشاء؛ لا حرج عليه أن تُحرق آلاف الأطنان من الحبوب، ولو مات آلاف البشر جوعا في الجنوب، من أجل أن تستقر الأســعار..، ولا حرج عليه أن ينفق كثيرا من الأموال والطاقات والأوقات، من أجل أن يكون قادرا على تدمير أكبر قدر من الكائنات في أسرع الأوقات!!!

يـــا لعظمـــة الإنســـان الحيـــوان! بل يا لعظمة الحيوان المتخفي في صورة إنســـان!!..**ألم يان لهذه الأمة أن تصنع أئمة العلوم لتحدد وظيفة العلوم: كُلِّ العلوم، فيما ينفع الناس ويمكث في الأرض؟** وتحمي العلوم من سلطة السحرة والكهان والمُخْلدين إلى الأرض...

ويومئذ تفرح البشرية بانتصار «ابن آدم» على «ابن القرد»، وبانتصار الصلاح على الفساد في وراثة الأرض، وباستدارة الزمان، -ومنه زمان العـــلم- كهيأتـــه يوم خلق الله السماوات والأرض؛ فتكون السيادة في الأرض للعـــلم، وتكون الإمامة في الأرض لأهل العلم، و﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر 28)." (مجلة الهدى ع: 33، ص: 35- 36).

4- المسألة المصطلحية والشهود الحضاري للأمة

قال الله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس)(البقرة: 143).

فموقع الأمة هو الشهادة على الناس، وهو **جَعْلٌ** من الله رب الناس، ملك الناس، إلاه الناس، كما **جعل** آدم في الأرض خليفة، وكما **جعل** إبراهيم إماما للناس، وكما جعل البيت مثابة للناس، وكما **جعل وجعل...**

ولا شهادة بغير أهلية للشهادة، ولو في الأمور الصغيرة ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ (الطلاق: 2) ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ (البقرة: 282)، فكيف بالشهادة على الناس كل الناس؟

وشروط الأهلية في الآية:

أولا: أن تكونوا أمة؛ ولا أمة بغير وحدة ما يُؤَمّ، ولا وحدة من يَؤُمُّ ومن يُؤَمّ. إذ مدار الأَمّ كله في اللغة على القصد، ومدار الأمة كلها على الوحدة في ذلك القصد.

ثانيا: أن تكونوا وسطا؛ ولا وسطية بغير خيَرة، كما نصت الآية الأخرى: ﴿كنتم خير أمة﴾ (آل عمران: 110). ولا خيرة بغير قوة وأمانة ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ (القصص: 26). وإنما توسد الأمانة للأقوياء لا للضعفاء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أبا ذر، إنك

ضـــعيف، وإنها أمانة ». (أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها.)،

ومع ذلك، كلٌّ ذلك لا يكفي لأداء الشهادة، إذ لابد **مـن الشـهود أي الحضـور لأداء الشـهادة**. وحين تكون الشهادة بالخيرة؛ أي بالحال أساسا قبل المقـــال، ومن أمة لا من أفراد، وعلى الناس جميعا لا على بعضهم، **فإن الشهود والحضـــور لا بـــد أن يكـــون حضـــاريا، أي حضـــورًا بالإمامـــة في كـــل الـمجالات، وعلى جميع المستويات، وفي كل الأوقات.**

هذا الشهود الحضاري، هذا الموقع العلي، كيف يتصور المسير والمصير إليه من هذا الواقع الدني؟ كيف تنتقل الأمة الأشلاَء من مشهودية الواقع إلى شاهدية الموقـــع؟ كيف تنتقل من الجمود والجحود إلى الاجتهاد والشهود؟ كيف وكيف وكيف؟..

"عبـثا نحـاول إصـلاح الحـال قـبل إصـلاح العمـل، وعبـثا نحـاول إصلاح العمل قبل تجديد الفهم، وعبثا نحاول تجديد الفهم قبل تجديد المـنهج.. وما أشق ذلك في الأمة اليوم!! لكثرة الموانع وقلة الأسباب؛ فكم من **ترسبات منهجية** فاسدة أفرزتها وراكمتها قرون الضعف والانحطاط في الأمة لا تـــزال مستمرة التأثير! وكم من **مقذوفات مـنهجية** صبَّها الغرب صبًّا على رؤوس نابـــتة الأمة، أو نفثها في روعها، فهي فاعلة فيها فعل السحر!، وليس في الواقع –للأسف– اتجاه عام، أو شبه عام، إلى صنع كواسح الركام والألغام، ولا اتجاه جاد، أو شبه جاد، إلى تصنيع ما يخلص العباد من سحرة فرعون ذي الأوتاد، الذيـــن طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد". (نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية، ص: 4).

إنه لا بد من منهج لفهم الذات لاكتشاف الذات.
ولابد من منهج لخطاب الذات لتوحيد الذات.
ولابد من منهج لتجديد الذات لشهود الذات على غير الذات.

وكل ذلك مما يدخل في التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية، ويسهم -بكفاءة وقوة- في حل معضلاته المنهج العام والخاص للدراسة المصطلحية.

5- المسألة المصطلحية وتحديات العولمة

العولمة أضخم غول، وأشرس غول، أمكن لعبدة العجل إنتاجه: رأسه عجل جسد له خوار، وجذعه الذي يحمل رأسه ويغذيه التكتلات والشركات المتعددة الجنسيات العالمية الضخمة. وأذرعه التي يبطش بها البنوك والمنظمات الدولية؛ كالبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومجلس الأمن وغيرها. **وأسلحته ذات الرؤوس النووية المدمرة للحضارات والثقافات والديانات هي المصطلحات**. أجل، المصطلحات؛ بها يهيء الأجواء في الأرض والسماء، وبها يخيف الضعفاء والأقوياء على السواء، وعلى أساسها يقرب البعداء ويبعد الأقرباء، وحماية لها -بزعمه- يضرب ما يشاء، بما يشاء، كما يشاء، في الزمن الذي يشاء، والمكان الذي يشاء، وكأن حاله يقول: أنا ربكم الأعلى، وأليس لي ملك الأرض، وهذه الشعوب تبكي من تحتي؟

ومن أبرز تلك المصطلحات التي أعدها ويعدها لسحق ومحق الديانات والثقافات والحضارات، تمكينا لدين العجل، وثقافة العجل، وحضارة العجل: **مصطلح حقوق الإنسان، ومصطلح الشرعية الدولية، ومصطلح الديمقراطية، ومصطلح النظام العالمي الجديد** الذي تطور حسب المرحلة إلى **العولمة**. ويلحق بها، مما هو دونها، كثير..

ولا شك أن أقوى سلاح مصطلحي حتى الآن، صنع له الأجواء، ليعد به الأجواء، للضرب من الأرض ومن السماء، هو **مصطلح الإرهاب. هو الذريعة الفعالة الآن للتدخل في الخصوصيات للقضاء على كل الخصوصيات**، ولو كانت دينية أو ثقافية أو حضارية. هو الذريعة الفعالة الآن لفعل فَعْلَة فرعون: تذبيح الأبناء واستحياء النساء، خشية ولادة موسى. وإن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا.

فالحرب المصطلحية الآن أخطر من الحرب النووية، والمستهدف الأول فيها هو الإسلام؛ ذلك بأنه وحده الذي يملك المصطلحات القادرة على افتراس مصطلحات السحرة وتلقّف ما يافكون. وإنما تحتاج إلى أخذها بقوة، وإلقائها بقوة: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى، وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا، إنما صنعوا كيد ساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ (طه: 69).

فهل المسلمون اليوم قادرون على أخذ مصطلحاتهم بقوة، وإلقائها بقوة؟!

ذلك هم الهموم في التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية.

ومما يأخذ باليد، في اتجاه ذلك الأخذ، أن يعلم:

1) **أن للمصطلح الإسلامي، في أصله القرآني، خصوصية مفهومية غير قابلة للتغيير والتبديل**، وذلك بسبب الطريقة التي استعمل بها اللفظ في القرآن الكريم، والسياقات التي وضع فيها؛ حتى إنك لو حاولت تغيير دلالة لفظ لَفَظَك القرآن خارجه. وهذا من **إعجازه المصطلحي**، فهو

كتاب يحمل معجمه فيه، ويحمي معجمه به، ولا سبيل إلى التمكن من معجمه من خارجه ﴿وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته﴾ (الأنعام: 115).

2) أن طبيعة المصطلح الإسلامي، في أصله القرآني، عالمية، لا تحتاج إلى عولمة، وذلك من إعجاز القرآن الكريم أيضا، فلو أخذت مثلا معلقة لبيد، أو أي معلقة من المعلقات، وهن هن المختارات، وقارنتها بسورة العلق مثلا، لوجدت في المعلقة الإنسان المعيّن، والمكان المعيّن، والزمان المعيّن، بينا في السورة لا تجد أثراً لمعيَّن: الإنسان مطلق، وبلفظ الإنسان نفسه، والزمان مطلق، إلا زمن الأفعال التي أطلقت بحذف مفاعيلها، والمكان غائب البتة. مع أن أول السورة مسرحه غار حراء، وما بعده مسرحه المسجد الحرام. **وذلك جعل المصطلحات التي وردت بالسورة لا أثر فيها للمحلية؛ فمصطلح الخلق، ومصطلح الإنسان، ومصطلح التعليم، ومصطلح الطغيان، ومصطلح الاستغناء، ومصطلح الصلاة، ومصطلح الهدى، ومصطلح التقوى، ومصطلح الطاعة، ومصطلح السجود، ومصطلح الاقتراب... كلها عالمية منذ البداية**، لا أثر فيها لمكة، أو قريش، أو بني هاشم، أو بني مخزوم، أو الحجاز، أو العرب. والسبب في ذلك أنها من الله جل جلاله، رب الناس، ملك الناس، إلاه الناس، جميعا.

3) أن طبيعة مفهوم المصطلح الإسلامي، في أصله القرآني، شمولية. يصغر أمامها كل كبير، وتمتد إلى آفاق وأعماق، ليس من السهل أن تذاق، بله أن تطاق. وذلك معنى القول السابق: **إن الإسلام وحده الذي يملك المصطلحات القادرة على افتراس مصطلحات السحرة**. وإنما تحتاج إلى من يأخذها بقوة، ويلقيها بقوة، فإذا هي تلقف ما يأفكون.

6- خاتمة في مستعجلات المسألة المصطلحية

وأحسب أن أهمها تسع:

1- ضرورة التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية.

2- ضرورة حل معضلة النص التراثي في مختلف العلوم، توثيقا وتحقيقا وتكشيفا.

3-ضرورة اعتماد منهج الدراسة المصطلحية، في الكشف عن مفاهيم المصطلحات.

4- ضرورة إنجاز المعجم المفهومي للقرآن الكريم. ويراد به المعجم الذي يحدد مفاهيم ألفاظ القرآن الكريم ومواقعها في النسق المفهومي الكلي للقرآن الكريم، ليمكن الوصول إلى الفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم.

5- ضرورة إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية.

6- ضرورة التزام منهجية مستوعبة لما لدى الذات وغير الذات في وضع المصطلحات. (به : ما تقدم في ص : 26-27)

7- ضرورة توحيد جهة البت في الوضع والاستعمال للمصطلحات.

8- ضرورة إلزام الإدارة والإعلام والتعليم والثقافة بالمصطلح الإسلامي للوقاية من أخطار العولمة وغيرها.

9- ضـرورة إنشـاء جهـاز داخـلي للتمشيط الـمصطلحي (بلغة العســكريين) في مختــلف العلوم، وتأسيس مكاتب جمركية، في كل نقط التماسّ الحضاري، تأمينا لسلامة الذات.

وإلا تفعلوه، تكن فتنة في الأمة وفساد كبير، أكبر مما هو واقع.

ويقولون متى هو، قل عسى أن يكون قريبا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فاس في 27 شوال 1422

الموافق 2002/1/11



فهرس المحتويات